فـضربـت الـشـتاءَ في أُخْذغـيـهِ ضربةً غادرتهُ عَوْداً ركوبا(٢٩٩)
لو أصخْنا مِن بعدها لسمعنا لقلوب الأيام منكَ وجيبا(٣٠٠)

انّ غالبية الشعراء العباسيين كانوا مولعين بالتجديد الى جانب الاعتماد على الموروث . وهذا التجديد يعود الى التطور الاجتماعي الكبير الذي شمل جوانب الحياة المختلفة آنذاك . وكذلك التطور الفكري الذي أدى الى ثراء العقل وفتح الأبواب الكثيرة للخلق والابداع .

الألفاظ والأساليب

قطع العلمُ والأدبُ في العصر العباسي شوطاً كبيراً في ساحة الرقي والتقدُّم والازدهار . وازداد عدد الدارسين والناهلين من معين المعرفة . تلك المعرفة النابعة من أصول قديمة أو اتيةٍ من منافذَ جديدةٍ . ومَنْ يلاحظ في ألفاظ هؤلاء الدارسين وأساليبهم يجدها تتراوح بين القوة والجزالة من جهة والسهولة والليونة من جهة أخرى .

كانت صلةُ كثير من الشعراء قويةً بالشعر القديم . فبشار بن برد مثلاً كان يجاري امريء القيس(٣٠١) . ويتعمد محاكاة الأساليب القديمة . ولا عجَبَ حين قال الأصمعي : « بشار خاتمة الشعراء . والله لولا أيامه تأخُرتْ لفضْلته على كثير منهم » . وأبو نواس قال عن نفسه : « ماظنكم برجلٍ لم يقل الشعر حتى رَوَى دواوين ستين إمراة من العرب . منهم الخنساء وليلى . فما ظنكم بالرجال ؟(٣٠٢) » . وكان محمد بن مُناذر « ينحونحوعَدي بن زيد في شعره . ويميل اليه . ويقدمه » . وعُرِفَ عن أبي تمام بروايته للقديم من الاشعار . حتى انّ الحسن بن رجاء قال : « مارأيتُ أحداً قط أعلمَ بجيد الشعر قديمه وحديثه من أبي تمام »(٣٠٣) .

أما المعارك والحروب فقد تناولها عددٌ من الشعراء بالوصف. فمثلاً نجد بشار بن برد يصوّر معركة ثار فيها الغبار ولمعتْ فيها السيوف حتى خُيّلَ اليه أنها نجوم تتساقط في الليل(٣٥).

كأنّ مثارَ النّقع فوقَ رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبهْ

واشتهر مسلم بن الوليد بوصف الحرب وتصوير شجاعة الفرسان وقوّتهم واقدامهم. وقد تأثر به المتنبي فيما بعد، مثل قوله(٣٦):

يغشى الوغى. وشهابُ الحربِ في يدهِ يرمي الفوارسَ والأبطالَ بالشُّعَلِ
يفترُّ عندَ افترارِ الحربِ مبتسماً اذا تغيرَ وجهُ الفارسِ البطلِ

وبرز أبو تمام في وصف حروب الروم والمسلمين ونظم قصائد جيدة رسم فيها صوراً باهرة للجيش العباسي المظفر والى جانبه القتلى والجرحى والأسرى للأعداء. انظر الى هذه الأبيات التي وصفَ فيها شجاعة المقاتلين ومهارتهم وهم متحصّنون بسيوفهم ودروعهم ومنقضّون على الخصوم كالأسود(٣٧):

تخذوا الحديدَ من الحديدِ معاقلاً سكانها الأرواحُ والأجسامُ(٣٨)
مسترسلينَ الى الحتوفِ كأنّما بينَ الحتوفِ وبينهم أرحامُ
أنّى موتٍ مُخدراتٌ مالها إلاّ الصوارمُ والنقمنا آجامُ

إنّ فنّ الوصف الذي ذكرنا طرفاً منه متعدّدُ الجوانب الى حدٍ بعيد. ويمكن للقارىء. اذا أراد التوسّع. أنْ يرى صوراً كثيرة في الدواوين الشعرية والكتب الأدبية مثل كتاب التشبيهات لابن أبي عون الكاتب. وغرائب التشبيهات لعلي بن ظافر الأزدي. والمحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسري الرفّاء. والتحف والهدايا للخالديين. وديوان المعاني لأبي هلال العسكري ...

سليمان إلى الصيد فسنح لهما قطيعٌ من ظباء . فأرسلت الكلابَ وأجريت الخيلُ فرمى المهديُّ ظبياً بسهم فصرعه . ورمى علي بن سليمان فأصاب بعض الكلاب فقتله . فقال أبو دُلامه :

قد رمى المهديُّ ظبيا ... شكَّ بالسهمِ فؤادهْ
وعليُّ بن سليما ... ن رمى كلباً فصادهْ
فهنيئاً لهما كلْ ... لُ امرىءٍ يأكلُ زادهْ

فضحك المهدي حتى كاد أنْ يسقط عن سرجه . وقال ، صدقَ والله أبو دُلامة . وأمر له بجائزة سنية(٣٢).

ونظر الشعراء الى الأنواء الجوية . ووصفوها بقصائد ومقطوعات . فهذا أبو عُبادة البحتري يُجيد بلغةٍ رقيقةٍ عذبةٍ وصفَ السحاب والبرق . ويرسمهما رسماً دقيقاً يدلّ على خيالٍ خصب ينفذُ في دقائق الأشياء فيبرزها ويظهرها بأبهى حلّةٍ وأجمل منظر(٣٣):

ذات ارتجازٍ كحنين الرّعد ... مجرورةُ الذيلِ صدوقُ الوعد
مفوحةُ الدّمع لغيرِ وجد ... لها نسيم كنسيمِ الورْد
ورنّةٌ مثلُ زئيرِ الأسْد ... ولمعٌ برقٍ كسيوفِ الهند
جاءت بها ريحُ الصّبا من نجد ... فانتثرتْ مثلَ انتثارِ العِقْد
فراحتِ الأرضُ بعيشٍ رغد ... من وشيِ أنوارِ الرُّبى في بُرد

ونلاحظ ابراهيم بن هرْمة يصفُ في قصيدة رائعة النجوم والكواكب وكأنّه عالم جليل من علماء الفلك . يتناول فيها هيئاتها الخلّابة . وألوانها الجذّابة . وحركاتها الدقيقة المنتظمة(٣٤) .

وشارك الشعراءُ مشاركة كبيرة في وصف الخمرة وأدواتها وسُقاتها ومجالسها وما يترددُ في هذه المجالس من أصواتٍ للمغنيين والمغنيات الى جانب الآلات الموسيقية . وسنوضّحُ هذا الوصف لاحقاً في حديثنا عن الخمريات .

لما أراحتْ رعاةُ اللّيلِ عازبةً من الكواكب كانت ترتعي الشّذفا
هزّ اللواءَ على ماكانَ من سِنَةٍ فارتجّ. ثم علا. واهتزّ. ثم هفا
ثمّ استمرّ. كما غنّى من طَرَبٍ مُرْيحُ شَرْبٍ على تغريده وضفا(٢٨٨)
اذا استهلّ استهلّتْ فوقه خُصَلٌ كالحيّ صيحَ صباحاً فيه فاختلفا

ومن صور ابن الرومي البديعة الزاهية قوله في وصف قوس السحاب(٢٨٩):

يُطرّزها قوسُ السّحابِ بحمرةٍ على أخضرٍ في أصفر وسط مُبيضْ
كأذيالِ خَوْدٍ أقبلتْ في غلائلٍ مصبّغةٍ والبعضُ أقصرُ من بعضِ

ومن الشعراء من أضفى على شعره أدلّةً منطقية. اكتسبها من الثقافة التي تلقاها. أو من مشاهداته وتجاربه الخاصة. يريد بها اقناع السامعين بما جادت به قريحته. مثل قول أبي تمام في الهرم(٢٩٠):

لاتُنكري منه تخديداً تجلّلهُ فالسّيفُ لا يزدرى إنْ كان ذا شُطبِ

ومن ابتداعات ابن الرومي التي لم يُسْبَقْ اليها قوله(٢٩١):

كلُّ امريء مدحَ امرءاً لنوالهِ فأطالَ فيه فقد أرادَ هجاءَهْ
لو لم يقلّلْ فيه بُعْدَ المُشْتَقى عند الورود لما أطالَ رشاءَهْ

واستعان الشعراء في هذا العصر بالتجسيد والتضخيم. والمبالغة والتهويل. وهذه الأمور ـ وان لم تكن من مستحدثات هذا العصر ـ أصبحتْ سمةً بارزةً اتكأ عليها الشعراءُ في كثير من الأحيان. ولا سيما في المديح والغزل. ويبدو أن المتلقّين كانوا يرتاحون لها ويهشون لسماعها. مثل قول منصور النمري في الخليفة هارون الرشيد(٢٩٢):

إنّ المكارمَ والمعروفَ أوديةً أحلّك الله منها حيثُ تتّسعْ
اذا رفعتَ امرءاً فالله يرفعُهُ ومَن وضعتَ مِن الأقوامِ متّضعْ

أخذتُ بكفّي كفّة ابتغي الغنى ولم أدرِ أنّ الجود من كفّه يعدي
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدتُ وأعداني فأتلفت ماعندي

فبلغ المهدي خبرُه . فأضعف جائزته . وأمر بحملها اليه في منزلة » .

ان خيال الشاعر في العصر العباسي حلّق في آفاق بعيدة . بعد ما شاهد ماصنعته يد الحضارة . وما أوجدته الحياة الجديدة من ألوان الترف والنعيم لم تكن معروفة سابقاً . الى جانب الطبيعة الجميلة المكتسية بالألوان الزاهية . كما نرى مثلاً في قول أبي تمام يمدح أبا سعيد الثغري ويذكر بعض حملاته على الأعداء(٢٨٣)

غادرت أرضهمُ بخيلك في الوغى وكأنّ أمنعها لها مضمارُ
وأقمت فيها وادعاً متمهّلاً حتى ظننا أنها لك دارُ
وأرى الرّياض حواملاً ومطافلاً مُذْ كنتَ فيها والسّحابُ عِشارُ
أيامنا مصقولةٌ أطرافُها بك واللّيالي كلُّها أسحارُ
تندى عداتُك للعفاة وتغتدي رُفقاً الى زوارك الزوّارُ
همّي معلّقةٌ عليك رقابُها مغلولةً إنّ الوفاء إسارُ

وانظر الى صورة الخمرة عند المكوك(٢٨٤)

كأنّ يد النّديم تدير منها شُعاعاً لايحيطُ عليه كانُ

وقريب من هذا المعنى قول ابن المعتز(٢٨٥) .

تسخفي الزّجاجةُ لونها وكأنّها في الكفّ قائمةٌ بغير إناه

ولاحظ هذه اللوحة الشعرية الملونة المتحركة التي قدّمها ديك الجن في أبياته الجميلة الرقيقة لوصف الديك .(٢٨٦) :

أما ترى راهب الأسحارِ قدهتفا وحثّ تغريده لما علا الشّعفا
أوفى بصيغ أبي قابوس مفرقه كدرّة التّاج لمّا أنْ علا شرفا(٢٨٧)
مشنّفٌ بعقيقٍ فوق مذبحه هل كنتَ في غير أذنٍ تعرف الشّنفا

نواس معانيه إلاّ من هذه الطبقة ؟ وأنا أوجدكم سَلْخَهُ هذه المعاني كلّها من شعره . فجعلَ ينشدُ بيتاً من شعر أبي الهندي ، ثم يستخرج المعنى والموضع الذي سرقه الحسن فيه حتى أتى على الأبيات كلها واستخرجها من شعره »(٢٣٥) .

ومن شعراء الخمرة المشهورين قبل أبي نواس . علي بن الخليل(٢٣٦) . وغَكّاشة الغَمْي(٢٣٧) . وابن مَيّادة(٢٣٨) . وابن هرمة(٢٣٩) ... ومهما قيل عن هؤلاء . فإن شعر الخمرة تطوّرَ تطوّراً كبيراً على يد أبي نواس . حتى عُدَّ زعيم شعراء الخمرة(٢٤٠) . وبقي شعره على مرّ العصور في صدر الدراسات التي تحدثت عن الخمريات . لما له من بريق أخّاذ . وأريحية غلّابة متأتية من قوّة الطبع إلى جانب بساطة الأسلوب وحلاوة اللفظ ورشاقة الوزن(٢٤١) .

لقد عشق أبو نواس الخمرة عشقاً عنيفاً قوياً . ووصل شعوره نحوها إلى درجة التقديس . وقد أشار إلى هذه الحقيقة الدكتور طه حسين حين توقّف أمام مقطوعته(٢٤٢) :

أثْنِ على الخمرِ بآلائِها ... وسَمِّها أحسنَ أسمائِها
لا تجعلِ الماءَ لها قاهراً ... ولا تُسَلِّطْها على مائِها
كرخيّةٌ قد عُتِّقَتْ حِقبةً ... حتى مضى أكثرُ أجزائِها
فلم يكدْ يُدرِكُ خُمّارُها ... منها سوى أخرِ حوبائِها
دارت فأحيتْ غيرَ مذمومةٍ ... نفوسَ خرّاها وأنضائِها
والخمرُ قد يشربُها معشرٌ ... ليسوا — إذا عُدّوا — بأكفائِها

(٢٣٥) الأغاني ٢٠ : ٣٢٩ .
(٢٣٦) الأغاني ١٩ : ١٧٤ .
(٢٣٧) الأغاني ٢ : ٢٥٧ .
(٢٣٨) الحيوان ٢ : ٢٣٧ . البيان والتبيين ٢ : ٢٤٥ ، ٢٥٠ .
(٢٣٩) ديوانه ص ٢٢٤ .
(٢٤٠) ينظر : أبو نواس زعيم شعراء الخمرة ص ٣٢ ـ ٨٥ .
(٢٤١) ينظر : تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ص ٤٦٧ . الشعر وطوابعه الشعبية ص ٨٥ .
(٢٤٢) حديث الأربعاء ٢ : ٨٧ . وينظر ديوان أبي نواس ص ٤٠ .

إنّ شعر الخمرة في العصر العباسي يشكّلُ ديواناً كبيراً يتناول وصفها وما يتصل بها من ندامى وسقاة وكؤوس ومجون ... وفي هذا الشعر جانب جديد يمكن أنْ يطلق عليه ـ كما يقول الدكتور هتارة(٢٤٣) ـ اسم أدب الديارات . ويقصد به الشعر الذي كان يتردّدُ حول مجالس الشراب في الأديرة التي كانت منتشرة في العراق والشام ومصر . وقد عُرف جماعةٌ من الشعراء بالذهاب إلى هذه الأديرة أمثال أبي نواس ، والحسين بن الضحّاك . وعمرو الوراق .ومطيع بن إياس . وأبي الشبل البُرجمي ، ومحمد بن عبدالرحمن الكوفي المعروف بالثرواني . وبكر بن خارجة الكوفي . ومحمد بن أبي أمية . واسحاق الموصلي . وخالد الكاتب الذي يقول في دير (سَمالُو) الذي يقع بباب الشماسية شرقي بغداد :(٢٤٤) :

يا منزلَ القَصْفِ في سَمالُو ... مالي عن طِيبِكَ انتقالُ
واهاً لأيامِكَ الخوالي ... والعيشُ صافٍ بها زلالُ
تلكَ حياةُ النفوسِ حقّاً ... وكلُّ ما دونَها مُحالُ

وهكذا أصبحت الأديرة ، مقصداً وهدفاً لطلاب اللذة والمتعة . وأصحاب اللهو والمجون . واذا بالشعراء والأدباء وغيرهم من مُغرمي موائد الشراب ومجالسه . يقطعون المسافات للوصول إلى هذا الدير . أو ذاك . لما شُهر به من نبيذ حسن . وخمرة جيدة . وطيب معشر سكانه . والقيمين عليه . وإذا بهذه الديارات تدخل الأدب العربي عن طريق الشعر خاصة بأبيات ومقاطع وحتى بقصائد كاملة . تُمجدها ويذكر الشعراء فيها أيامهم الجميلة . ولياليهم السعيدة الحلوة التي قضوها فيها . ثم يتمنون العودة إليها . أو يتواعدون على اللقاء في الدير الفلاني . وقد تنشأ

الخمريات :

فنّ أدبيّ ليس بجديد على الشعر العربي في العصر العباسي. وإنّما هو قديم ابتدأ به شعراءُ ما قبل الإسلام . ويُعدُّ الأعشى أبرزهم وأكثرهم إطالةً في وصف الخمرة .(٣٢٣) ولما جاء الإسلام أمر بتحريمها وحدّ شاربيها ، لذلك قلّتْ معاقرتُها إلاّ من نفرٍ قليل جداً مثل أبي محجن الثقفي الذي لم يسلم من الحدّ عدة مرات .(٣٢٤) وفي عصر بني أمية قرع كؤوسها عددٌ من الشعراء أمثال النابغة الشيباني(٣٢٥) . والقطامي(٣٢٦) . والأخطل(٣٢٧) . والوليد بن يزيد(٣٢٨) ...

ولما أقبلَ العصر العباسي بترفه ولهوه ومجونه وانفتاحه على أقوام كثيرة ولاسيما الفرس والروم . شاعت الخمرة . وتوسّعتْ مجالسها . وكثرتْ حاناتها وأنديتها . وزاد الأقبال عليها . وتوفّرَ الشعراء على وصفها بصورةٍ لم تحدث من قبلُ . ويبدو أنّ الحرية والتساهل كانتا وراء هذا الإقبال . ولم يكن الخلفاء بمعزل عنها . فإنّ أكثرهم شربها . ويقال إن المنصور تناول النبيذ مرّةً واحدةً بعد أن زَيّنَها له أحدُ

---

(٣٢٣) أمالي المرتضى ١ : ١٣٧ ـ ١٥١ .

(٣٢٣) ينظر : تطور الخمريات في الشعر العربي ص ٢٦ . وأساليب الصناعة في شعر الخمر والغزل ص ١٥ .

(٣٢٤) الأغاني ١٩ : ١ .

(٣٢٥) ديوانه ص ٨٢ .

(٣٢٦) ديوانه ص ٧٦ ، ٢٠٧ ، ٢٥١ ، ٢٩١ .

(٣٢٧) الأخطل الكبير ، حياته وشخصيته وقيمته الفنية ص ١١٩ ـ ١٢٠ .

(٣٢٨) الأغاني ٧ : ١٩ .

الأطباء « فشربه في اليوم الأول فاستطابه . فعادَ له في اليوم الثاني . وزادَ منه فخدره . ثم عاوده في اليوم الثالث فأبطأ عن صلاة الظهر والعصر والعشاء . فلما كان من غدٍ دعا بما عنده من الشراب فهراقه . ثم قال : ما ينبغي لمثلي أنْ يشربَ شيئاً يشغله »(٣٢٩) .

إنّ أول شاعر خصّص شعره لوصف الخمرة هو أبو الهندي غالب بن عبدالقدوس . قال عنه أبو الفرج الأصبهاني : « وقد أدرك الدولتين . دولة بني أمية . ودولة ولد العباس . وكان جزلَ الشعر . حسنَ الألفاظ . لطيفَ المعاني ... واستفرغَ شعره بصفة الخمر .وهو أولُ من وصفها من شعراء الإسلام . فجعل وصفها وكُدَهُ وقَصْدَه »(٣٣٠) . وكان يحب الخمرة . ويبكي لفراقها . ويحنّ إليها حنين الفطيم إلى الرضاع . فها هو ذا يقول بعد أن أبطأ عن شربها مدّة :(٣٣١)

أديرا عليّ الكأسَ إنّي فقدتُها ... كما فقدَ المفطومُ دَرَّ المراضع
حليفُ مدامٍ فارقَ الراحَ روحُهُ ... فظلّ عليها مُستهلَّ المدامع

وإذا قال أبو الهندي(٣٣٢) :

اجعلوا . إنْ مِتُّ يوماً كفني ... ورقَ الكَرْمِ وقبري مَعْصَرَهْ
وادفنوني وادفنوا الراحَ معي ... واجعلوا الأقداح حول المقبرَهْ

فقد سبقه إليه أبو محجن الثقفي(٣٣٣) :

إذا مِتُّ فادفنّي إلى أصل كَرْمَةٍ ... تُرَوّي عِظامي بعد موتي عروقُها

ولا تَدْفنّني في الفلاةِ فإنّني ... أخافُ إذا ما مِتُّ ان لا أذوقُها(٣٣٤)

التجديد في المعاني والأفكار

اتسعت الثقافة في العصر العباسي . وكثرت منافذها . وتعددت ألوانها . وقد ظهر أثر ذلك جلياً في الحياه الفكرية . والشعرُ جانبٌ من هذه الحياة . اذ نراه يزدحم بالمعاني والأفكار . والصور والأخيلة . ومن يراجع دواوين الشعراء والمجاميع الأدبية يجدُ تلك الحقيقةَ واضحةً للعيان .

لقد غاص الشعراء في بحر الأفكار . وتعمقُوا في أغواره . واستنبطوا لآليَ جديدة . ودرراً ثمينةً تعجب الناظر وتُبهر السامع . لما فيها من دقةٍ وروعةٍ وبهاء ...

إنَّ الصور الشعرية التي نلمسُ فيها الجدةَ والطرافة كثيرة في رياض الأدب العباسي . فمن أزاهير تلك الرياض الأبيات الآتية لبشار بن برد التي أعجبَ بها أبو عمرو بن العلاء وعدَّ بشاراً من أفضل الشعراء لتجديده وابداعه فيها . قال(٣٣٦)

لم يطلْ ليلي ولكن لم أنَمْ ... ونفى عنّي الكرى طيفٌ ألمْ
واذا قلتُ لها جُودي لنا ... خَرجتْ بالصمتِ عن لا ونَعَمْ
نَفْسي ياعبدُ عنّي واعلمي ... أنّني ياعبدُ من لحم ودَمْ
إنَّ في بُردَيَّ جسماً ناحلاً ... لو توكأتِ عليه لانهدمْ
ختم الحبُّ لها في عُنُقي ... موضعَ الخاتم من أهلِ الذِّمَمْ

ولعلَّ أبا عمرو بن العلاء استساغ البيت الأخير . لأنه حقاً صورة فريدة وتشبيه نادر اضافة الى أنَّ لغة الأبيات سهلة وأسلوبها مأنوس يتعاطفُ مع القلب .

ومن الشعر الجميل المتناهي في الرقّة والسلاسة قولُ دِعبل الخزاعي .(٣٣٧)

أين الشبابُ . وأيةَ سلكا ؟ ... لا . أينَ يُطلبُ ؟ ضَلَّ . بل هلكا
لاتعجبي ياسَلْمُ من رَجُلٍ ... ضحكَ المشيبُ برأسِهِ فبكى
ياسَلْمُ ما بالشيبِ مَنْقَصَةٌ ... لاسُوقةٌ يُبقي ولا مَلِكا
ياليتَ شعري كيفَ نومُكما ... ياصاحبيَّ اذا دمي سُفِكا
لاتأخذا بظلامتي أحداً ... قلبي وطرفي في دمي اشتركا

---

(٣٣٦) الأغاني ٣ : ١٥٠ ، ١٥١ .
(٣٣٧) ديوانه ص ١٣٧ .

والبيت الثاني هو الذي أوصل دعبلاً بالرشيد . فقد غنّى ابنُ جامع المقطوعةَ التي تضمُ هذا البيت بين يدي الرشيد « فطربَ . وسألَ عن قائل الشعر . فقيل له ، دِعبل بن علي . وهو غلامٌ نشأ من خُزاعة . فأمرَ باحضار عشرة آلاف درهم وخِلعة من ثيابه . فأحضر ذلك . فدفعه مع مركب من مراكبه الى خادم من خاصّته . وقال له ، اذهبْ بهذا الى خُزاعة فاسأل عن دِعبل بن علي . فاذا دُلِلْتَ عليه فاعطه هذا ، وقلْ له ، ليحضرْ ان شاء . وانْ لم يُحب ذلك فدعه . وأمر للمغني بجائزة . فسار الغلام الى دعبل . وأعطاه الجائزة . وأشار عليه بالمسير اليه . فلما دخل عليه وسلَّم أمره بالجلوس فجلس . واستنشده الشعر فأنشده اياه . فاستحسنه وأمره بملازمته وأجرى عليه رزقاً سنياً »(٣٣٨)

وبرز مسلم بن الوليد في ابتداع المعاني . وكثيراً ماذكره المأمون في مجالسه وفضله على غيره من الشعراء . ومن شعره الذي أعجبَ به النقادُ والقرّاءُ البيت الآتي .(٣٣٩)

تجودُ بالنفسِ اذ ضَنَّ الجوادُ بها ... والجودُ بالنفسِ أقصى غايةِ الجود

وكذلك اشتهر أبو تمام بفتق أكمام الفكرة وتزيينها باللفظ الجميل والجرس الرقيق . مثل قوله في فضل الحاسد على المحسود(٣٤٠) .

واذا أرادَ اللهُ نشرَ فضيلةٍ ... طويتْ أتاحَ لها لسانَ حسود
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورَتْ ... ماكان يُعرفُ طيبُ عرْفِ العُود

وبلغ ابن الرومي مرتبة عالية في التجويد باللفظ والعبارة . والتعمق في المعاني . وابتداع الصور الجديدة . مثل قوله في الغزل(٣٤١)

نظرتْ فأقصدتِ الفؤادَ بسهمها ... ثم انثنتْ نحوي فكدتُ أهيمْ
ويلاهُ إنْ نظرتْ وانْ هي أعرضتْ ... وقعُ السهامِ ونزعهنَّ أليمْ

إنّ شعر الخمرة في العصر العباسي يشكّل ديواناً كبيراً يتناول وصفها وما يتصل بها من ندامى وسقاة وكؤوس ومجون ... وفي هذا الشعر جانب جديد يمكن أنْ يطلق عليه ـ كما يقول الدكتور هدّارة(٢٤٣) ـ اسم أدب الديارات . ويقصد به الشعر الذي كان يتردّدُ حول مجالس الشراب في الأديرة التي كانت منتشرة في العراق والشام ومصر . وقد عُرف جماعةٌ من الشعراء بالذهاب إلى هذه الأديرة أمثال أبي نواس . والحسين بن الضحّاك . وعمرو الوراق .ومطيع بن إياس . وأبي الشبل البُرجمي . ومحمد بن عبدالرحمن الكوفي المعروف بالثرواني . وبكر بن خارجة الكوفي . ومحمد بن أبي أمية . واسحاق الموصلي . وخالد الكاتب الذي يقول في دير (سَمالُو) الذي يقع بباب الشماسية شرقي بغداد .(٢٤٤) :

يامنزلَ القَصْفِ في سَمالُو ... مالِيَ عن طِيبِكَ انتقالُ
واهاً لأيامِكَ الخوالي ... والعيشُ صافٍ بها زلالُ
تلكَ حياةُ النُفوسِ حقّاً ... وكلُ ما دونَها مُحالُ

وهكذا أصبحت الأديرة « مقصداً وهدفاً لطلاب اللذة والمتعة . وأصحاب اللهو والمجون . واذا بالشعراء والأدباء وغيرهم من مُغرمي موائد الشراب ومجالسه . يقطعون المسافات للوصول إلى هذا الدير . أو ذاك . لما شُهر به من نبيذ حسن . وخمرة جيدة . وطيب معشر سكانه . والقيمين عليه . وإذا بهذه الديارات تدخل الأدب العربي عن طريق الشعر خاصة بأبيات ومقاطع وحتى بقصائد كاملة . تُمجدها ويذكر الشعراء فيها أيامهم الجميلة . ولياليهم السعيدة الحلوة التي قضوها فيها . ثم يتمنون العودة إليها . أو يتواعدون على اللقاء في الدير الفلاني . وقد تنشأ علاقة صداقة ومودة خالصة بين المجّان وطلاب المتعة وبين المسؤولين عن هذه الديارات (٢٤٥) .

إن رواد الديارات كانوا « يتنافسون فيما يظهرون هنالك من زيهم . ويباهون بما يعدُّونه لقصفهم »(٢٤٦) . وقد عدّ الدكتور يوسف خليف شعر الديارات لوحة من لوحات مدرسة الأدب المكشوف . صوّر فيها الشعراء الجانب اللاهي من

---

(٢٤٣) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٤٩٧ .
(٢٤٤) ديوان خالد الكاتب ص ٥٢٢ . وتنظر « الديارات للشابشتي ص ١٩ .
(٢٤٥) الأندية الأدبية في العصر العباسي ص ١٧٨ .
(٢٤٦) الديارات ص ٤٦ .

حياتهم . فوصفوا مجالس الشراب . وتغزّلوا بالفتيان والفتيات الذين كانوا يقومون على أمر الأديرة ويقدمون الخمر لروادها(٢٤٧) . وقد صدق ما قاله جحظة في دير الزَنْد وَرْد القريب من بغداد(٢٤٨) :

سقياً ورعياً لدير الزَنْد ورد وما ... يحوي ويجمعُ من راحٍ وريحانِ
ديرٌ تدورُ به الأقداحُ مترعةٌ ... من كفّ ساقٍ مريضِ الطرفِ وسنانِ
والعودُ يتبعهُ نايٌ يوافقُه ... والشدو يحكمُه غصنٌ من البانِ